

حرب الإلكترونيات مجرد إشاعة تسويقية

الكتاب الورقي ليس في صراع مع الكتاب الإلكتروني

افتراض صراع بين الكتاب الإلكتروني والكتاب الورقي ليس كما يبدو في ما نقرؤه هنا وهناك من بحوث أو مقالات أو إحصائيات وغيرها، وإنما هو صراع مكذوب، حيث لا يتجاوز كونه تضارب مصالح لصناع الكتاب الورقي في مقابل القائمين على صناعة الكتاب الإلكتروني.

عشرة في المئة من أرباحها المحققة على المستوى العالمي.

وبذلك، فإن الصراع بين الكتاب الورقي والكتاب الإلكتروني، كما يتم الترويج له، هو في غالب الأحيان، تعبير المجالين. إذ أن ربح قراء جدد، ولو كانوا "إلكترونيين"، هو في نهاية المطاف ربح للقراءة، التي تبقى غير محكومة بنوع الوسيط، ولا بطوقسها.

وبالتالي، فإن ما تنجزه صناعة الكتاب الإلكتروني على مستوى اجتياح أسواق جديدة، يُحسب على مشهد القراءة. خصوصاً أن هذه الصناعة الجديدة تمثل فرصة ذهبية، بشكل أساسي، أمام الكتاب الصادر في البلدان التي تفتقد لبنات توزيع مهنية كبرى، تستطيع أن تصل بالإنتاج الوطني إلى خارج الحدود، بحثاً عن أسواق جديدة على مستوى القراءة.

إنها الفرصة التي يضيغها إلى حد الآن قطاع النشر العربي، تاركا المجال مفتوحاً للمئات من المواقع الإلكترونية المواظبة على نشر الآلاف من العناوين المقرضنة، التي تختلط فيها كتب التراث بكتب الدعوة إلى الإرهاب. وذلك ضداً على كل التشريعات التي تحفظ حقوق المؤلف وحقوق الناشر، وعلى الحاجة إلى مكونات قطاع نشر حقيقي يساهم في نشر ودمقرطة المعرفة دون تقفير منتجها.

لعل غياب الذكاء الاستراتيجي عربيًا هو ما يحكم أيضاً قطاعاً هاماً على مستوى رقمته الكتاب، وهو المكتبات العربية. إذ يستمر التسابق نحو إطلاق العديد من المشاريع داخل البلد الواحد، دون أي تنسيق. حيث نجد أنفسنا أمام نفس المخطوطات ونفس الكتب التي تُرقن من طرف أكثر من مكتبة في نفس البلد، مع ما يعني ذلك من تشتت في العمل وفي الجهود، وضياح للميزانيات الضخمة التي تتطلبها مشاريع الرقمنة، وأيضا عمليات ومقتضيات حفظ الرصيد المرقم.

الرقمنة العربية

ما يرقن على المستوى العربي يظل محدوداً، إذ لم يتجاوز عدد الوثائق المرقمنة، على سبيل المثال، من طرف دار الكتب الوطنية التونسية، الأربعة عشر ألف وثيقة، خلال أكثر من عشر سنوات. وهو ما يشغل أقل من واحد

حسن الوزاني
كاتب مغربي

قبل خمس سنوات، كانت شركة برايسوتريهاوس كوبرز، وهي شبكة عالمية تضم مجموعة من المؤسسات المختصة في تقديم الخبرة، قد ضربت في تقريرها السنوي، موعداً يمتد إلى أربع سنوات لكي يتجاوز الكتاب الرقمي حجم حضور الكتاب الورقي ولكي يبدأ أفول هذا الأخير، مستندة في ذلك إلى الارتفاع الكبير لعدد الكتب الإلكترونية ومبيعات أجهزة قراءته.

الصراع بين الكتاب الورقي والكتاب الإلكتروني هو في الغالب تعبير عن التضارب بين مصالح المشتغلين في المجالين

غير أنه مرت سنة على الموعد الذي توقعته الشركة، ولم يمت الكتاب الورقي، إنه هنا بيننا. قد يتعثر وجوده في أكنة وفضاءات ثقافية ما، وقد ينتعش في أكنة أخرى، توفر له شروط الحياة والتألق.

الصراع بين الكتائين

غالبا ما تكون التوقعات التي يلوح بها البعض جزءاً من صناعة "الماركتينغ"، خصوصاً مع احتدام حرب التنافسية بين الشركات الكبرى، في سياق بحثها عن زبائن جدد وعن أسواق جديدة. وهو ما تعكسه على سبيل المثال، دراسة مواجهة بين شركات كبرى، كامازون وغوجل وأبل وغيرها من الشركات، التي يجمعها تقاسمها للكثير من الأسواق العالمية، وتحقيقتها لأرباح خيالية. وهي الأرباح التي يستنتجها بأن تكون موضع أعين العديد من الدول، والأوروبية منها بشكل أساسي، خصوصاً مع انبعاث رائحة التهرب الضريبي وفضيحة توظيف المعطيات الخاصة للزبائن. وهو ما كان موضوع آخر تقرير صادر قبل شهر عن لجنة محاربة الاحتكار التابعة للاتحاد الأوروبي، حيث أوصت للجنة بفرض اقتطاع ضريبي على الشركات الكبرى، وعلى رأسها أمازون، يصل إلى



Allreza Darvish

الكتاب يحتاج إلى محامل جديدة (لوحة للفنان علي رضا درويش)

المعلومات العربية ويرصد واقعها ويقدم المعلومات المساندة لعمليات التخطيط الاستراتيجي" (كذا).
والحقيقة أنني أجد أن دخول مثل هذه المؤسسات "الكبرى" على خط المهنيين في المجال هو الطريق الأقصر نحو موت أي مشروع.

للتذكير فقط، كانت نفس الجامعة قد احتضنت، قبل سنوات، مشروعاً مشتركاً كان يبدو طموحاً، وهو يخص رقمنة ذاكرة العالم العربي، وكان من المفروض أن يرى المشروع النور سنة 2011. حل ما يُسمى بالربيع العربي، وسقطت أنظمة وحلت أخرى، وفنيت شعوب. ويبدو أن الجامعة نسيت الأمر. وحده موقع ميت خاص بالتعريف بالمشروع ما زال على الويب، يذكرنا بالأمر.

على الأقل كما تثبت ذلك نتائج آخر تقرير عن وضعية النشر والكتاب بالمغرب، صادر عن مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود بالدار البيضاء. إذ يكشف التقرير عن التطور المتواصل لحصة الكتاب الإلكتروني، حيث انتقلت نسبته من ثلاثة في المئة إلى عشرين في المئة خلال الأربعة سنوات الأخيرة.

خلال الشهر السابق، كانت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية قد احتضنت فعالية إطلاق الخارطة الرقمية للمكتبات ومراكز المعلومات، باعتبارها، كما تصورها الجامعة، "أول مشروع عربي غير ربحي يعزز الوعي المعلوماتي الجغرافي بمؤسسات المكتبات ومراكز المعلومات العربية، ويهدف إلى توفير مؤثر عربي للمكتبات ومراكز

سبابة، في سياق حفظها وحمايتها للإنتاج الإلكتروني الصادر بالبلد، إلى التنصيب، على مستوى القانون المنظم للإيداع القانوني، على إيداع الوثائق المتاحة عبر الإنترنت، والمجلة في الكتب الرقمية والمواقع الرسمية والشخصية، والمجلات الإلكترونية، والبلوغات، والمواقع التجارية، ومنصات الفيديوها، وغيرها. وإن كان ذلك يبدو مستحيلًا اعتباراً لفيضان عدد الوثائق الإلكترونية المنتجة كل دقيقة، على الأقل كما أقر بذلك تقرير المفتشية العامة للمالية الخاص بالمكتبة الوطنية الفرنسية.

وفي زحمة هذه المؤشرات المفارقة، تشكل التجربة المغربية على مستوى إنتاج الكتاب الإلكتروني علامة مضيئة،

في المئة مما يتجده موقع غالليكا الذي أطلقته المكتبة الوطنية الفرنسية. أما وصفة غالليكا في ذلك فتقوم على شبكة شراكاتها الكبيرة، التي تشمل أكثر من أربعين مؤسسة، ما بين مكتبات عمومية وجامعية ومعاهد البحث ومكتبات الأكاديميات الفرنسية وأيضا مكتبات وطنية أجنبية. وهي شراكات تقوم على تبادل الوثائق المرقمنة بشكل يُمكن من إلغاء موقع غالليكا والمواقع الشريكة، وذلك بشكل آني ومستمر، مع العلم أن نفس هذا الرصيد المرقمن يُضب في موقع أوربينا، الذي يشمل الرصيد الأوروبي المرقمن، والذي يناهز خمسين مليون وثيقة، ما يمنحه من عدد ضخم من الوثائق التي تخص العالم العربي. وستكون المكتبة الوطنية الفرنسية

«تحت موس الحلاق» بعد نصف قرن

وقال: الست محقا في التوقف عن تشخيص هذا الدور، فأجبت، لكن هذا الاستقبال دليل حبهام لك، فأجاب: أي حب مع هذا الإحراج.

الفنان العراقي حمودي الحارثي يرثي سليم البصري ويشكو من خلاله ما جرى على العراق من خراب ودمار

أذكر أن إبراهيم عبد الجليل، نبهني إلى سهره تلفزيونية، لم أكن قد شاهدها حين عرضها، لم أعد أتذكر اسمها، وكانت من إخراجها وبطولة سليم البصري، وقد شاهدناها معا، البصري وعبد الجليل وأنا، يومها علق عبد الجليل على أداء البصري بالقول: إنه في هذا العمل بمستوى كبار الممثلين في العالم، غير أنه وهو يضحك الملايين، كان يعانني من الحزن والرغبة في العزلة ومن اكتئاب واضح، فهل كانت الضغوط التي يعانها بسبب ظروفه العائلية التي أشربنا إلى بعض منها، سبب حزنه واكتنابه، أم أنه مثل كثيرين من الممثلين الكوميديين الذين يعانون من الحزن والاكتئاب، إذ قال المسرحي جين ماسادا "إن ثمانين بالمئة من الممثلين الكوميديين يعانون من الاكتئاب".

الأنظار، مسرحية كوميدية، كتبها وادى دور البطولة فيها وكانت بعنوان "سليم البصري في ساحة التدريس" وكان تاريخ عرضها قبيل مرحلة الدراسة الجامعية، حيث انتسب إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية - بجامعة بغداد في العام 1950 وتخرج منها في العام 1954، وخلال هذه المرحلة تبلورت شخصية جحي راضي التي سترافقه طويلاً، وتشكل الأساس الراسخ لشخصيته الفنية.

إن معظم الذين أحبوا سليم البصري، إنما كان ذلك من خلال حبهام لشخصية جحي راضي، ولا يعلمون أنها كانت مجده الفني ومشكلته في أن، إذ حاولت خلال عملي في الإذاعة والتلفزيون وربطتنا علاقة صداقة وتفاهم، أن أقتعه بالعودة إلى إنتاج حلقات جديدة من تحت موس الحلاق، فكان لا يستجيب لمحاولاتي، بل كان لا يشجع على إعادة عرض أي من الحلقات السابقة أو أي جزء منها.

ثم أسرني يوماً، بأن ظهوره بشخصية جحي راضي، سبب إحراجاً لزوجته، وهي مدرسة اللغة العربية في إحدى إعدديات بغداد للبنات، حيث تحولت عند زميلاتها وطالباتها إلى زوجة جحي راضي، لا إلى زوجة سليم البصري، وتندك عليه حياته.

وذهبنا يوماً إلى حمام شعبي في حي الأعظمية، فاستقبل وأنا معه، باغنية مقدمة للمسلسل، فالتفت إلي

إن الخلط بين الشراب المسهل والشراب المسكر، الذي عانيت منه يوماً، صار يعاني منه كثيرون، وقد يصفه الأطباء بالصيدالة، في إشارة منه إلى تراجع الطب وهجرة الأطباء واختلال عمل الصيدالة وانتشار الدواء الفاسد.

أما الوضع التعليمي، فهو كارثة الكوارث، إذ تجاوز عدد الأميين في -عراق الحضارات- لأول مرة في التاريخ، سبعة ملايين مواطن عراقي، لا يقرأون ولا يكتبون، نعم، كارثة الكوارث فبعد أن حقق العراق قبل ما يقرب من أربعة عقود من الزمن، ما لم يحققه أي بلد من بلدان العالم الثالث، حيث قضى على الأمية تماماً وباعتراف اليونسكو، يتراجع الآن إلى هذا الوضع الكارثي.

لقد أعادني الفنان الصديق حمودي الحارثي إلى الأيام التي عرفت فيها سليم البصري، زميلاً وصديقاً، وبخاصة خلال عملي في المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون، والبصري من مواليد محلة البتاويين ببغداد في العام 1926، وبدأت ميوله الفنية وظهرت موهبته في التمثيل مبكراً، إذ التحق بإحدى الفرق المسرحية الشعبية المتواضعة بمدينة بغداد، غير أنه لم يستمر طويلاً في الفرقة المذكورة وانقطع عن التمثيل، ويشير بعض الذين أرخوا لسيرته الفنية، إلى أن ما لفت إليه

بل بقص الأعناق والأرزاق، وإن "نحباتي ليو" وهي قراءة جحي راضي لجملة وردت في رسالة الطالب المبتعث إلى والدته - تحياتي للوالدة - لم تعد حكراً على الأميين، بل أصبحت قراءة المسؤولين في العراق الآن، ويواصل خطابه قائلاً:

التعبير عنها، حيث الصدق والقدرة على التواصل مع المشاهد، سواء في النص المكتوب أم في الأداء التمثيلي، وما زالت وسائل التواصل تكرر الكثير من القضايا والموضوعات والمفارقات التي وردت في حلقات، تحت موس الحلاق، مثل مدرسة محو الأمية وقراءة الرسالة التي يعث بها طالب مبتعث إلى الهند لوالدته، من قبل جحي راضي الحلاق.

لقد كان الحديث الذي وجهه حمودي الحارثي "عبوسي" إلى أستاذه سليم البصري "جحي راضي" وهو يقف على قبره، موجعاً حقاً ومؤثراً، ويعبر بصدق عن معاناة العراق وشعبه في ظل أوضاعه الراهنة، ولأن الحارثي فنان أكاديمي ومثقف متابع، فقد استطاع أن يمد خطوطاً بين أطروحات تحت موس الحلاق والمصالحات التي انتهت إليها تلك الأطروحات في زمن الخراب، فهو يخاطب البصري بقوله: هل تعلم أن العراق بات صفراً على الشمال.

وهو بهذا القول يشير إلى تراجع العراق على جميع الأصعدة، دوراً ومشروعاً وطموحاً وحضوراً وإنجازاً، في العلم والفن والإبداع، وما عاد يحسب له أي حساب، لا في الحاضرين ولا في الغائبين، وإن العراق كله بات تحت موس الحلاق، غير أن حلاق اليوم ما عاد معنياً بقص اللحن والشوارب،

حميد سعيد
كاتب عراقي

أطلقت على ما قاله الفنان العراقي حمودي الحارثي، وهو يقف، وقفة وفاء، على قبر الفنان الراحل سليم البصري، مخاطباً إياه بصفة أستاذه، وهذا الوصف يذكر ملايين الناس بذلك الفنان الجميل، جحي راضي، الحلاق الشعبي الذي شخصه سليم البصري، وعبوسي، صبي الحلاق الفضولي المشاكس، الذي شخصه حمودي الحارثي، في العمل الدرامي التلفزيوني العراقي، الأشهر والأكثر شعبية ومشاهدة، والأطول استقطاباً للمشاهدين، إذ ما زال وبعد ما يزيد على نصف قرن، يُتابع ويحفظ بإعجاب أجيال جديدة من المشاهدين في العراق وبعض الدول العربية.

لقد كانت حلقات "تحت موس الحلاق"، وهي من تأليف سليم البصري وإخراج عمونويل رسام، الذي اشتهر بـ"ع. ن. ر." وضمت نخبة من خيرة الممثلين، وبخاصة ممن عرفوا بالأداء الكوميدي، أذكر منهم بالإضافة إلى الفنان سليم البصري وحمودي الحارثي، خليل الرفاعي وسهام السبتي ورأسم الجميلي وعبد الجبار عباس وسامير القاضي وغيرهم، تستأثر باهتمام الجميع، على بساطة الإنتاج وابدائية التقنيات الفنية، لما تطرحه من قضايا تهم الجمهور وكيفية

